واقع اللغة العربية في الأنظمة التعليمية النيجيرية

بقلم

د. يعقوب عبد الله
كلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية،إلورن، نيجيريا
البربد الإكتروني: Yaqub.abdullahi@yahoo.com
08058035554

المقدمة:

يعتمد نجاح عملية التعليم في جميع المستويات التعليمية على مدى صلاحية المنهج والنظام والسياسة التعليمية التي يسير عليها التعليم، ويأتي دور التنفيذ والإنجاز الجميل للمنهج والنظام والسياسة في المرتبة الثانية في سبيل تحقيق النجاح البارز، وقد مرت اللغة العربية في المراحل التعليمية بنيجيريا بعدة سياسة وأنظمة أضعفت من شأنها وعرقلت سبل تقدمها في البلاد. وهذا البحث ينظر في واقع اللغة العربية في الأنظمة التعليمية النيجيرية عبر المراحل الدراسية المختلفة، بالتركيز على الأنظمة التعليمية الراهنة لتشخيص النقائص والعيوب المخلة، ثم اقتراح الحلول والإصلاحات المفيدة، يمهد البحث بالوقوف على حالة اللغة العربية في نيجيريا قبل الاستعمار وحالتها بعد الاستعمار، ثم مناقشة واقع اللغة العربية في الأنظمة التعليمية النيجيرية في المرحلة الابتدائية فالمرحلة الثانوية ثم المرحلة الجامعية.

اللغة العربية في نيجيريا قبل الاستعمار:

اتضح من الوثائق التاريخية أن اللغة العربية دخلت في نيجيريا منذ القرن الحادي عشر الميلادي حين دخول الإسلام إليها عن طريق مملكة برنو (سيعد غلادنثي، 1993م، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا) ثم أخذت تزدهر وترتسخ قدمها بفضل الدعاة والعلماء الوافدين من بلاد العرب والممالك المجاورة لها، وبجهود العلماء الصوفيين الذين لهم الفضل الكبير في نشر الإسلام ولغته في الأفريقية الغربية عامة ونيجيريا خاصة، وكما يعتبر تأسيس المعاهد العلمية لنشر اللغة العربية والدراسات الإسلامية في كنو، وكثنا، وزاريا مما وطد وساعد في توسيع رقعة الثقافة العربية والإسلامية في المنطقة حيث يعمها طلاب العلم من أنحاء البلاد يعكفون عليها ردحا من الزمان، ينهلون من معينها، ثم يرجعون إلى بلادهم لنشر وتعليم تلك العلوم والثقافة العربية والإسلامية المدروسة، (علي أبوبكر، 1972م، الثقافة العربية في نيجيريا).

ولقد شجعت جهود قواد الدولة الفودية الإسلامية في نيجيريا التعليم العربي ببذل الجهود المضنية في تحصيله وتدريسه وإصدار تواليف ممتازة، حتى ترقت اللغة العربية وصارت لغة رسمية في الدولة ولغة كتابة الدواوين الحكومية ولغة المراسلة بين المثقفين. (سعيد غلادنثي, 1993م، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا).

اللغة العربية في نيجيريا بعد الاستعمار:

دخل الاستعمار البرطاني البغيض نيجيريا فوجد أهلها متعمقين في الثقافة العربية الإسلامية فجعل يحاربها عن طريق سياسته التعليمية, حيث أسس المؤسسات التعليمية تدرس فيها اللغة الإنجليزية وثقافتها جاهدا على إماتة اللغة العربية ومحوها من الساحة التعليمية والثقافية حين أبدل اللغة العربية التي تستعمل في شمال نيجيريا لغة رسمية وفي كتابة

الدواوين الحكومية بلغته الإنجليزية، وحول كتابة اللغات المحلية بالحروف العربية إلى كتابتها بالحروف اللاتنية, ولم يضع الاستعمار مادتي العربية والإسلامية في النظام التعليمي إلا مرغما واستجاية لرغبة الأمراء وإرضاء الآباء، لذلك عانى المادتان في سياسته التعليمية الإهمال والإزدراء، فلا منهجا لهما ولا أساتذة أكفاء, ولم تتحسن حالة المادتين إلا بعد فتح مدرسة العلوم العربية بكنو عام 1931م لتدريب المعلمين والمتخصصين في الشريعة الإسلامية، فأخرجت المدرسة دفعات من مدرسي اللغة العربية والدراسات الإسلامية. (سعيد غلادنثي، 1993م، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا)

التعليم العربي في المرحلة الابتدائية:

تحتل المرحلة الابتدائية في الأنظمة التعليمية منزلة حساسة لاعتبارها أساس المراحل التعليمية بعدها، ولذلك عني المربون بها وسعوا في إعدادها وتأسيسها وجعلها قوية متينة، راعوا في ذلك الجهات المشتركة والمسئولة عن التعليم في المرحلة الابتدائية، من الطلبة والمدرس والبيت والجو والمنهج. فتصميم المنهج مثلا يجب أن يكون ملائما لسن الطلبة وموجوا، ومتسلسلا. والمدرس يجب أن يكون ناجحا ومدربا (حسين سلمان قورة، 1982م، الأصول التربوية في بناء المناهج). ونظرا إلى كون المنهج يأخذ نصيب الأسد من بين الجهات المشتركة في وضع الأساس للتعليم الابتدائي ننظر إلى منهج اللغة العربية للمرحلة الابتدائية في الأنظمة التعليمية النيجيرية. وتحت هذه المرحلة نوعان من المدارس: المدارس الابتدائية الحكومية، وغير الحكومية أي الخصوصية.

منهج اللغة العربية في المرحلة الابتدائية:

للأسف الشديد أن الأنظمة التعليمية النيجيرية أسقطت مادة اللغة العربية من بين المواد الدراسية في المدارس الابتدائية الحكومية، فكل ما ورد في نص سياسة التعليم الوطنية لعام 2008م وهي السياسية التعليمية الراهنة هو ذكر مادة اللغة العربية من بين المواد الاختيارية من دون أن يكون لها الوجود والحياة في حقيقة الأمر، ولم تخصص لها الحصص في جدول العمل، ولم توظف المدرسين القائمين بتعليمها، ولا منهجا خاصا بها. وهذا ينبأ بقطع جذور اللغة واستئصالها من أساسها لتكون لها حياة ومكانا في المرحلة الثانوية.

أما المدارس الابتدائية العربية الخصوصية فهي التي تتركز على تدريب الناشئين على المبادي الأساسية في العربية والدراسات الإسلامية بفروعهما. وقد اكتشف الباحث خلال البحث أن هذه المدارس في المنطقة الجنوبية من الدولة تعاني المشاكل التشكلية والمنهجية معا.

تتشخص المشكلة التشكلية في تحديد السنوات الدراسية في هذه المرحلة على سنتين في بعض المدارس وثلاث سنوات في بعضها، وتلك مدة قصيرة غير وافية لإعطاء الطالب المبتدئي المهارات الضرورية والمعلومات اللازمة لإعداده إعداد تاما تؤهله لمواجهة الدراسة في المرحلة اللاحقة، في الحين الذي لا تقتصر الدراسة في المدارس الابتدئية الحكومية عن ست سنوات متوالية. والمشكلة المنهجية فيها مرتبطة بقصر المدة الملاحظ، إذ تكون وحدات المنهج موزعة حسب الساعات المحدودة والأيام المحسوبة في سنوات الدراسة المعينة، ولا يمكن توزيع ما يستحق تعليمه للطلبة في ست سنوات تعليمه إياهم في خلال نصف المدة أو أقل. وأما المدارس الابتدائية العربية الخصوصية في المنطقة الشمالية من الدولة فمستثنية من المشلكة التشكلية، إذ تستغرق الدراسة فيها ست سنوات موافقة للمدارس الحكومية، فمشكلتها الوحيدة هي مشكلة المنهج الدراسي، فالمناهج التعليمية في تلك المدارس غير صالحة وغير موحدة، فقلّما تعطي ثمرة مرجوة، ولا تخرج طلبة ناجحين. لكن مع ذلك فالدراسة فيها أنجح وأنسب قياسا بمدارس المنطقة الجنوبية (يعقوب عبدالله، 2013، البحث الميداني).

اللغة العربية في المرحلة الثانوية:

فالمدارس الثانوية التي تقوم بمهمة تعليم اللغة العربية في هذه المرحلة نوعان: المدارس الثانوية الحكومية، والمدارس الثانوية العربية الخصوصية. ولكل واحدة منها نظام خاص ووضع مستقل.

فمكانة اللغة العربية في سياسة التعليم الوطنية للمدارس الثانوية الحكومية تختلف من سياسة إلى سياسة، لكن المعلوم أن مادة اللغة العربية ظلت توضع من المواد الاختيارية، وتدرس في المرتبة النيابية للغة الفرنسية، بمعنى يختار الطالب إحدى اللغتين اختيارية، ثم تغير هذا الوضع في عهد الحكومة العسكرية برئاسة ثاني أباثا (1995-1999م) الذي أعلن إجبارية اللغة الفرنسية بالمرحلة الثانوية، وبقيت اللغة العربية من المواد الاختيارية رسميا، فهذا الإعلان يقتضي محو اللغة العربية في المرحلة الثانوية، ولم يتغير هذا الوضع إلا في عام 2003م حين أصدرت وزارة التربية الفدرالية قرارا على رد اللغة الفرنسية إلى المواد الاختيارية، ذلك القرار الذي سمح للطلبة الاختيار بين اللغتين العربية والفرنسية، (محمد عمر إنداغي، 2010م، مجلة نتائس) وتنحط مكانة اللغة العربية وتفقد الهوية في السياسة التعليمية النيجيرية الراهنة بتصنيف اللغة الفرنسية من المواد الإجبارية مرة أخرى واللغة العربية من المواد الاختيارية في المرحلة الإعدادية، ثم تنص السياسة باختيارية المادتين في المرحلة الثانوية العليا للطالب المتخصص في الآداب والإنسانيات (مجلس البحث، 2008م، سياسة التعليم الوطنية) فما هذه السياسة إلا مكيدة لإلغاء اللغة العربية في المرحلة الثانوية، لأن جعل اللغة الفرنسية مادة إجبارية وهي تدرس بديلة من اللغة العربية يوحي بذلك في المرحلة الإعدادية، وكيف يمكن تدريسها في الثانوية العليا بإزاء الفرنسية.

منهج اللغة العربية في المدارس الثانوية الحكومية:

إن النظرة الفاحصة في منهج اللغة العربية للمدارس الثانوية الحكومية تفشي ما فيه من القصور وعدم الصلاحية والمناسبة لهذه المرحلة، والوقوف على محتوياته يؤيد هذا الموقف. يغطي المنهج في الفصل الأول الإعدادي تعليم الحروف الهجائية، وتدريب الطلبة على تبادل التحايا بالعربية، وتكوين الجمل البسيطة عن أعمال الطالب اليومية، وتكوين جمل استفهامية، وفي الفصل الثاني الإعدادي ينص المنهج على تدريس الطلبة الجمل الإسمية والجمل الفعلية، ووصف الأماكن المختلفة، وتعليم الأناشيد والقصص القصيرة، وتعليم الخط والاملاء، حين يطالب المنهج في الفصل الثالث الإعدادي بتدريب الطلبة على قراءة جيدة، والتعبير عن الأماكن والمهن، وتعليم الإنشاء بكتابة الرسائل بأنواعها. (عبد الرزاق محمد كاتبي، 2001م، مجلة نتائس).

فمحتويات منهج الجزء الإعدادي كما رأينا لا تناسب هذه المرحلة، حيث يجب أن تكون قد درست جميع محتويات المنهج في المرحلة الابتدائية مع الزيادة عليه، وكما أن تصريحات المنهج كما سبقت تبرهن وتؤيد غياب مادة اللغة العربية في المرحلة الابتدائية، وتظهر ضعف خلفيات الطلبة في هذا المستوى.

ونلاحظ كذلك عدم الإحاطة والشمولية في محتويات منهج المرحلة الثانوية العليا حيث ركز المنهج على موضوعات قليلية في المواد الأدبية واللغوية تاركا كثيرا من الموضوعات التي تعد من أساسيات المواد الدراسية (يعقوب عبد الله، 2006م، مجلة اللسان).

عدد حصص اللغة العربية في سياسة التعليم الوطنية:

تخصص سياسة التعليم النيجيرية لمادة اللغة العربية حصتين في الأسبوع، فيقوم مدرس المادة بتوزيع الحصتين بين فروع المادة الأساسية من النحو والصرف والإنشاء والأدب، (محمد ثاني باوا، 2006م، مجلة اللسان) ومع القصور وعدم الإحاطة الملاحظة في محتويات المنهج فإن حصتين غير كافية لتدريس تلك المحتويات الضيقة.

المدارس العربية الثانوية الخصوصية:

هي تلك المدارس العربية التي تهتم بتدريس العلوم العربية والإسلامية بفروعهما، وهي ثلاثة أنواع: الأول: المدارس العربية التي أنشأتها حكومات ولاية شمال نيجيريا أو بعض الأفراد المثقفين خاصة لتعليم الثقافة العربية والإسلامية، وهي تابعة لمعهد التربية لجامعة أحمد بلو زاريا، يشرف على مناهجها والكتب المقررة ومنح الشهادة. والنوع الثاني: هي المدارس التي أنشأتها الجمعيات الإسلامية النيجيرية ولها علاقة بالدول العربية كالقاهرة والمملكة العربية السعودية، تشرف الجهات التعليمية من هذه الدول على إدارتها ومناهجها وامتحاناتها وشهاداتها وتوظيف ودفع مكافأة المعلمين. والنوع الثالث: هي المدارس العربية الثانوية التي أسسها بعض الأعلام البارزين في حقل التعليم العربي، وليست تابعة لجامعة أو مؤسسة علمية أو دولة من الدول. يقوم المديرون بإدارتها وتصميم مناهجها وتوظيف المعلمين، وبناء الفصول وتوفير الأثاث مما يجمعون من الرسومات الدراسية والتبرعات. (عبد الرزاق محمد كاتبي، 2002م، مجلة نتأئس).

فالنوعان الأول والثاني من المدارس العربية الثانوية يمتازان بالدقة والصلاح والنجاح من حيث المنهج والمعلمين وإخراج الطلبة المتمكنين، أما النوع الثالث فتعاني من المشاكل الإدارية والمنهجية وتوظيف المعلمين الأكفاء، وكل ذلك له تأثير سلبي فيما تقدم من الخدمات التعليمية من إخراج الطلبة غير متمكنين، يفقدون الخصوصية للشهادات التي منتحهم تلك المدارس.

وفي الحقيقة هذه المدارس بأنواعها هي أمل اللغة العربية في نيجيريا، وهي التي أخرجت نخبة من المتخصصين في حقل التعليم العربي والإسلامي، وما زالت تعطي أكلها وتسعى في مواجهة المكايد والتحديات في سبيل إرساء صرخ اللغة العربية وإثبات هويتها واستمرار حياتها ونشاطاتها في المجالات المعرفية والثقافية.

اللغة العربية في المرحلة الجامعية:

تدرس اللغة العربية في أكثر الجامعات النيجيرية الواقعة في شمالها وجنوبها، ويغطي تعليم اللغة فيها جميع المستويات الدراسية، بما في ذلك مرحلة اليسانس والدراسات العليا، وتتسم الأنظمة التعليمية فيها بالشمولية والصلاحية، من حيث المناهج التعليمية ووجود الأساتذة الأكفاء المسئولين عن إعداد وتوجيه الطلبة وتثقيفهم بالثقافة العربية المعاصرة، وتتوفر في مكتبات تلك الجامعات المصادر والمراجع الأساسية في المواد المختلفة إضافة إلى إيراد الكتب الحديثة والمعاصرة في الفنون المختلفة والصحف والمجلات المتنوعة لتسهيل عمليه الدراسة والبحث للطلبة والمدرسين.

ولعل ما أثبتناه سابقا من الصلاحية والشمولية والنجاح في حق تعليم اللغة العربية في أقسام اللغة العربية في الجامعات النيجيرية يصدق على دراسة اللغة في مرحلة الليسانس وحدها، أما الدراسات العليا في تلك الأقسام فينقصها التوجيه نحو التخصص. فطلاب الماجستير مثلا يشتركون في جميع المواد الدراسية اللغوية والأدبية، ويمنحون شهادة الماجستير في اللغة العربية من دون التخصص في الأدب أو اللغويات أو الترجمة. إذا فالمناهج الدراسية في مرحلة الدراسات العليا تحتاج إلى إعادة التصميم نحو التخصص الدقيق (عبد الغني أبمنبولا عبد السلام، 2006م، مجلة فائس).

هذا وقد أسفر من عدم التخصص الملاحظ فقد التواصل البحثي لدى بعض الباحثين بين البحوث المقدمة في مرحلة الماجستير والمقدمة في مرحلة الدكتوراه، حيث يقدم البحث الأول في الأدب والبحث الثاني في اللغويات (عبد الغني أبمبولا عبد السلام،2006، مجلة فائس).

مشاكل اللغة العربية في الأنظمة التعليمية النيجيرية:

تتعدد المشاكل التي تواجه تعليم وتعلم اللغة العربية عبر المراحل التعليمية المدروسة، ونقوم بتوضيحها وتصنيفها حسب المراحل التعليمية السابقة.

مشاكل تعليم اللغة العربية في المرحلة الابتدائية:

1- غياب تعليم اللغة العربية في المرحلة الابتدائية من سياسة التعليم الوطنية منذ بداية عهد سياسة التعليم الوطنية إلى اليوم، وتصنيف السياسة التعليمية مادة اللغة العربية من المواد الاختيارية في هذه المرحلة ما هو إلا ادعاء وخداع.

2- عدم توظيف الحكومة معلمي اللغة العربية في المرحلة الابتدائية.

3- عدم تخصيص الحصص لمادة اللغة العربية في جدول العمل اليومي في المدارس الابتدائية الحكومية.

4- تقصير التعليم الابتدائي في المدارس العربية الأهلية في المنطقة الجنوبية من الدولة على سنتين أو ثلاث سنوات.

5- عدم صلاحية المناهج التعليمية للمدارس العربية الخصوصية.

6- عدم توظيف المدرسين الأكفاء للقيام بمهمة التدريس والتدريب في المدارس العربية الخصوصية.

7- قلة دخل مديري المدارس الابتدائية العربية الخصوصية للقيام بالواجبات المدرسية وتوظيف المدرسين الأكفاء.

مشاكل تعليم اللغة العربية في المرحلة الثانوية:

تقتصر مشاكل اللغة العربية في المرحلة الثانوية على المدارس الحكومية، وهي كما يلي:

1- عدم صلاحية المناهج الدراسية.

2- عدم توفير الحصص الكافية لتدريس اللغة.

3- عدم توظيف العدد الكافي من المدرسين الأكفاء، حيث يتوقف تدريس المادة في بعض المدارس الحكومية على المرحلة الإعدادية دون الثانوية العليا لفقد المدرسين.

4- عدم توفير الكتب الدارسية المناسبة.

5- جعل مادة اللغة العربية من المواد الاختيارية.

6- إجبارية اللغة الفرنسية. فرفع اللغة الفرنسية إلى المستوى الإجباري يعني قتل اللغة العربية ودفنها.

7- الحاجة إلى توحيد مناهج المدارس العربية الثانوية الخصوصية غير التابعة للدول العربية أو معهد الجامعة.

هذا وتنحصر مشكلة تعليم اللغة العربية في الجامعات حاليا في عدم تصميم مناهج الدراسات العليا نحو التخصص الدقيق.

الحلول والاقتراحات:

بعد وقوفنا على المشاكل التي تواجه تعليم اللغة العربية في المراحل التعليمية النيجيرية نقترح الحلول والإصلاحات التالية:

1- إدراج تعليم اللغة العربية في المدارس الابتدائية الحكومية، وتوظيف المدرسين الأكفاء لتعليم اللغة.

2- تصميم وتطوير المناهج الدراسية للغة العربية في المدارس الابتدائية غير الحكومية، وخاصة في المنطقة الجنوبية من الدولة لتستغرق الدراسة في هذه المرحلة ست سنوات دراسية، لإعداد الطلبة إعدادا كافيا وتزويدهم بالمعلومات اللازمة لمواجهة الدراسة في المرحلة المقبلة.

3- تخصيص الحصص الكافية لتعليم اللغة العربية في المرحلتين الابتدائية والثانوية كعدد حصص اللغة الإنجليزية لتدريب الطلبة على المهارات اللغوية اللازمة.

4- مراجعة منهج اللغة العربية للمدارس الثانوية الحكومية وتطويره إلى مستوى مناهج المدارس العربية الإسلامية التابعة لمعهد جامعة أحمد بلو زاريا، نيجيريا.

5- تصنيف الكتب المدرسية المناسبة لمختلف المستويات التعليمية.

6- توظيف العدد الكافي من المدرسين الأكفاء للقيام بمهمة التعليم في المراحل التعليمية المتعددة.

7- اهتمام المؤسسات التربوية النيجيرية بتعليم اللغة العربية عبر المراحل التعليمية بالمراقبة والتشجيع.

8- تصميم مناهج الدارسات العليا في اللغة العربية وتوجيهها نحو التخصص الدقيق.

9- توظيف المتخصصين في اللغة العربية في جميع المؤسسات الحكومية، وتخصيصهم بالمناصب الاستراتاجية التي تتطلب معرفة اللغة العربية.

10- وضع اللغة العربية من بين المواد الإجبارية في المرحلتين الابتدائية والثانوية.

11- إخلاص الموكلين بسياسة التعليم النيجيرية والبعد عن التعصب الديني أو القلبي.

الخاتمة

قد تبيّن جليا خلال الدراسة السابقة رسوخ قدم اللغة العربية في نيجيريا قبل مجئ الاستعمار البرطاني، وتطور اللغة بجهود العلماء والمثقفين بها إلى أن صارت لغة رسمية للمنطقة الشمالية من الدولة، ولكن لقيت اللغة من الاستعمار البغيض وأذياله من بعده أنواعا من الجفاء والإهمال خلال سياسته التعليمية، إذ ظل تعليم اللغة العربية عبر المراحل التعليمية وخاصة المرحلتين الابتدائية والثانوية تعليما غير منظم ولا معمق، ولولا جهود الجمعيات الإسلامية والأفراد المثقفين في تأسيس المدارس العربية الخصوصية لنشر الثقافة العربية والإسلامية لطمست آثار اللغة ومعالمها من المنطقة، ويمكن إصلاح وضع اللغة في السياسة التعليمية الوطنية بتجنيد الطاقات في مطالبة المسئولين عن السياسة التعليمية النيجيرية بإنجاز الحلول والإصلاحات المقترحة لتغلب المشاكل والمخاطر المحيطة بها جراء الأنظمة التعليمية النيجيرية، والله ولي التوفيق.

المراجع

1- حسين سليمان قورة، *الأصول التربوية في بناء المناهج*، دار المعارف، مصر، 1982م.

2- وهيب سمعان ورشدي لبيب، *دراسات في المناهج*، المطبعة الأنجلو المصرية، 1982م.

3- علي أبوبكر، *الثقافة العربية في نيجيريا من 175 إلى 1960م عام الاستقلال*، مؤسسة عبد الحفيظ البساط، بيروت، 1972م.

4- شيخو أحمد سعيد غلادنثي، *حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا*، المكتبة الإفريقية، مصر، 1993م.

5- مجلة اللسان، العدد الرابع، تصدر عن جمعية مدرسي اللغة العربية في كليات التربية والمعاهد المماثلة بنيجيريا، 2006م.

6- مجلة نتائس، لمنظمة معلمي الدراسات العربية والإسلامية بنيجيريا، إصدارات 2001، و2002 و2006م.

7- منهج برنامج التعليم الأساسي، الصادر من مجلس البحث الوطني، 2008م.

8- مجلة النور، من مركز نور الإسلام للتعليم العربي الإسلامي أغيغي، لاغوس نيجيريا، 2013م.

9- يعقوب عبد الله، البحث الميداني إلى المدارس العربية الأهلية المختارة، 2013م.

10- مجلة فائس في العلوم الإنسانية، جامعة بايرو، كنو، نيجيريا، 2006م.